زاوية النظر الأخرى(التلطف في التعبير).

الدكتور: حسين يوسف قزق

الدكتور: حسين بطاينة

الدكتورة: إنصاف المومني

جامعة البلقاء التطبيقية– الأردن

تلخيص

يعرض هذا البحث لقضية التلطف في التعبير، أو حسن التأدب، من خلال اللغة، مع محاولة ربط التلطف بأكثر من إبدال كلمة مكان أخرى، بل هي تبرز بصور أخرى كالتخيير، وكالتسمية بضد الكلمة، والتقديم والتأخير، و...

وترى هذه الدراسة أن التلطف عبارة عن إمكانية عقلية وقدرة كامنة لدى كل إنسان، ويستطيع أن يستخدمها متى أراد، وليست محصورة بفرد دون آخر.

وتحاول الدراسة أن تعرض الصور التي جاء عليها التلطف ما أمكن، وتعرض أمثلة على كل واحد منها، معتمدة على القرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، ثم كلام العرب.

التلطف: يعرف أولمان التلطف بأنه:" استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزى سيء أو مخيف بكلمات اللامساس[1] يعد ضربا من ضروب حسن التعبير Euphemisms.

وحسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه، ويعمد المتكلم إلى استعمال هذه الوسيلة مع شيء من مقدس أو ذي خطر أو مثير للرعب والخوف، كما تطبقه على الأشياء الشائنة أو غير المقبولة لدى النفس"[2]. مع الإشارة إلى أنه لا مانع في اللغة العربية من الإشارة إلى أي معنى يراد ذكره، فالمتكلم يذكر في كلامه لفظ الجلالة والرسل والكتب السماوية دون حاجة إلى استخدام كلمة أخرى، فهو يقول: الله، ويقول: عيسى ابن مريم رسول الله، ومحمد أُنزل عليه القرآن... إلخ

وقد عرفه أحمد عمر مختار بأنه: إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة أو أكثر قبولا[3]. ويرى الباحثون أن مصطلح التلطف ذو دلالة عامة في اللغة وخارج إطار اللغة، وعلى مستوى اللغة، ولا يقتصر استخدام هذا المصطلح على تبديل كلمة مكان أخرى، ولكنه أوسع من ذلك، وهو ما ستوضحه الدراسة في حينه.

وعرفه محمد علي الخولي: بأنه استبدال تعبير غير سار بآخر أكثر مقبولية منه[4]. ونزيد بأن تعريف أحمد عمر مختار إبدال كلمة حادة لا يشكل كل مادة التلطف، فالتلطف أوسع من ذلك، فليس بالضرورة أن يقع في مفردة، كما وُصف، بل إنه قد يتجاوزها إلى ما هو أوسع من ذلك، فقد يكون التلطف بوضع جملة أو تركيب مكان آخر، أو تغيير بين عناصر الجملة مما ستعرضه هذه الدراسة بعدُ. وأما تعريف الخولي بأنه استبدال تعبير بآخر، فليس بالضرورة أن يكون ثمة استبدال، بل يمكن أن يتم عن طريق تغيير في الإسناد، أو تقديم بعض الكلام على بعض.

هذا، وللتلطف بعد ديني، ففِي" الصَّحِيحَيْنِ" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:« لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي» وَخَبُثَتْ وَلَقِسَتْ وَغَثَّتْ مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى. فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَفْظَ" الْخُبْثِ" لِبَشَاعَتِهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْعُدُولِ إِلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ[5].

ثمة ربط بين اللغة والمجتمع، في تعريف اللغة، عند القدماء، كما يتبدّى في تعريف ابن جني للغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، حيث إن المقصود بالصوت هو اللغة، وبالقوم هم المجتمع، فاللغة ظاهرة اجتماعية، تنشأ، وتتطور، وتكتهل في حضن المجتمع[6]، وبالتالي فإنه من السهل الربط بين الظواهر الاجتماعية واللغوية.

وعليه فإن ظاهرة التلطف ظاهرة لغوية اجتماعية[7]، تتسم بالقصدية، ويمكن أن تظهر في كلام بعض الناس، وتختفي في كلام بعضهم الآخر، وكما كانت هذه القصدية واضحة، فإنه من الممكن الاستفادة، لمن أراد، من هذه القصدية، أو الإمكانية، في سبيل إيجاد حياة سليمة آمنة خالية من المنغصات، بل مجتمع ينعم بالسلام والأمن.

وظاهرة التلطف يقابلها ما يسمى بالمحظور اللغوي، أو الكلام المحرم (Taboo)، أو اللامساس، وهو يظهر في مواقف حياتية كثيرة، في ذكر الموت، والمرض، والحياة الجنسية بين الرجل والمرأة، وكل ما يمكن أن يسيء إلى الشخص باللفظ الصريح، وهذا ما جعل التلطف حاجة ماسة وضرورية لحياة الإنسان، لتخلصه من أية متاعب تلحق به من جراء استعمال اللفظ المحظور، أو المسيء.

والتلطف هو قدرة أو إمكانية قائمة لدى الإنسان يستطيع أن يستخدمها في أي وقت، وأي ظرف، وبالطريقة التي يراها مناسبة، فيختار ما يختار من مخزونه اللغوي،

وإمكاناته اللغوية، فيتفادى الاصطدام بالآخرين، أو يضللهم، أو يقرب لهم المعلومة المرفوضة أصلا بلغة مرضية، وهي إمكانية هائلة إذا ما أراد الإنسان أن يستغلها، وإلا فإنها تبدو عديمة النفع إن بقيت حبيسة في نفس صاحبها.

وقد حاول البحث أن يكشف عن الأساليب والطرق التي يمكن أن يظهر فيها التلطف، سواء أكان على مستوى الكلمة أم التركيب الجملي أم البلاغي، وذلك من خلال لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف، وبعض كلام العرب القدماء. مع الإشارة إلى بعض استخدامات اللغة في المجتمع المعاصر.

أغراض التلطف ودوافعه[8]:

1- التفاؤل والتشاؤم: وهذا يلاحظ في تسمية العرب اللديغ سليما، والصحراء المهلكة مفازة، وكذلك ما يقوله الأطباء للمرضى، فهم يسمون الجلطة– المرض المعروف، وهو اسم يحمل إيحاء بالخطورة عند عامة الناس– يسمونه تخثرا بالدم، ومن الواضح أن هذه التسمية أخف وطأة وأقل حدة في نفس المريض، وهو يتقبلها بقبول حسن، وأما لو قالها بلفظها الأول الجلطة فلربما انتكس المريض، وزاد مرضه. ومنه تسميتهم مرض السرطان تورما. هذا، وتبدو الحاجة ملحة إلى استخدام التلطف في مجال الطب، بل في كل المجالات الإنسانية.

2- التبجيل والاحترام: وذلك كما في استخدام الكنية، فبعض الناس يعدّ استخدام اسمه الأول إهانة، وربما طالب بأن يُنادى بكنيته التي يُعرف بها. ومن ذلك إطلاق لفظ العمّ على أي قريب، وعلى كبار السن، ولفظ الخالة على قريبات الأم، وغيرها من كبيرات السن. وكذلك الأمر في الألقاب العلمية مثل: دكتور، بروفيسور.. والسياسية مثل: دولة، معالي الوزير، سعادة، والألقاب الدينية: سماحة، قاضي القضاة، حيث يرفض أصحابُها أن يُنادوا بغيرها.

3- الخداع والتضليل: كأن يُسمى الشيء بغير اسمه المعهود، لأن له إيحاء غير مقبول في ذهن المتلقي، فيستعمل المتكلم اسما يخلو من ذلك الإيحاء، ويعطي إيحاء آخر، مثل كلمة الخمر التي توحي بالمُحرَّم وتذكّر بالحكم الشرعي، إذ يُستخدم بدلا عنها كلمة مشروبات روحية، التي تلغي ما وقر في أذهان الناس، وتغرس مفهوما جديدا يذكر باللذة، ولا يوحي بما ارتبط بها في الفكر الديني. ومثلها كلمة الفائدة مكان الربا.

4- **الكياسة والاحتشام:** وذلك يبرز عند ذكر الأشياء المحرجة ذات الخصوصية مثل أمور الزواج والعورة، بل إن الحديث يختلف بين الرجال إذا حضر عنصر نسائي، فتُنتقى الألفاظ انتقاء دقيقا، مراعين حضور النساء. ويكون ذلك عن طريق عدم ذكر العورة ذكرا صريحا، أو ذكر الفعل الجنسي بلفظه الصريح، وإنما يكنى عنه، ويكثر ذلك عند أطباء النسائية، وعلماء الدين، ومن تدعوه الحاجة إلى أن يتكلم في مثل هذا الموضوع. ويكون أيضا في مخاطبة أصحاب الأمراض الخَلَقية، فهم يخاطبون الأعمى بقولهم: أبو بصير، والحبشي[9]: أبو البيضاء، وأَبُو بَصِير، تحرجا من مناداته بالأسود[10].

5- الخوف من العين والحسد: فقد قال العرب:" مهرةٌ شوهاءُ: قبيحةٌ وجميلةٌ(تطلق على القبيحة والجميلة، فهي من ألفاظ الأضداد[11])، قال أبوحاتم مفسراً ذلك: لا أظنهم قالوا للجميلةِ شوهاء إلا مخافةَ أن تُصيبَها عينٌ، كما قالوا: للغراب أعورَ لحدةِ بصرِهِ"[12]. وكانت قبيحة حظيّه المتوكّل الخليفة العباسي، وسمّيت قبيحة لحسنها على طريق الضدّ. ويقال: إنّه لم ير مثلها حسنا[13].

من صور التلطف

ثمة أساليب وطرق متنوعة في أداء التلطف في اللغة العربية، فمنها ما هو على مستوى الكلمة، ومنها ما هو على مستوى التركيب، ومنها ما هو على مستوى المجاز. وفيما يأتي بيان لذلك.

أولا- الكلمة:

1- التسمية بالنقيض(الضد):

فالعرب تسمي الملسوع سليما تفاؤلا، والصحراء المهلكة مفازة، من قولهم: فوّز الرجل، إذا مات، كأنهما لفظان لمعنى، ومنه القافلة... الراجعة، وأصلها قفل الجند من مبعثهم إذا رجعوا[14].

ومن الأمثلة على ذلك: الكنى التي يستعملونها، فيقولون للأعمى: أبو البصير، وللأحدب: أبو الغصن.. وقال بعضهم: إن الأبله العراقي الشاعر، وهو محمد بن بختيار، وإنما سمي الأبله لفرط ذكائه[15]. ومنه بعض المصطلحات السياسية التي تخلق ضبابا حول الكلمة نحو تسمية استعباد الشعوب تحريرا، والزنا حبا، والتبرج حرية، والتمسك بالإسلام تطرفا، والخمر مشروبات روحية- ولها مسميات أخرى مثل: الوسكي والبيرة والبوظة والتنكة والعرق، وهي مسميات حديثة-، والرقص فنا ...

ومنه قوله تعالى:{ يجعلون أصابعهم في آذانهم}[16]، وإنما توضع في الأذن السبابة، فذكر الإصبع وهو الاسم العام، أدبا لاشتقاقها من السب. ألا تراهم كنوا عنها بالمسبحة والدعاءة، وإنما يعبر بهما لأنها ألفاظ مستحدثة. قاله الزمخشري[17].

وجاء في الحديث الشريف أن النبي عليه السلام قَالَ:" جَاءَنِي رَجُلاَنِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ ابْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ[18]. فقد استخدمت في الحديث كلمة (مطبوب) تكنية عن السحر، كما كنّوا عن اللديغ بالسليم تفاؤلاً.

وقوله عليه السلام: أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ. قال ابن بطال:(يقولون: يثرب) كره أن يسمى باسمها فى الجاهلية وسماها(المدينة) فلا تسمى بغير ما سماها النبى عليه السلام[19].

ومنه أن عمر خرج يعس المدينة بالليل، فرأى نارا موقدة في خباء فوقف وقال: يا أهل الضوء، يريد أن يناديهم وهم في الخيمة وقد أوقدوا نارا، وكره أن يقول: يا أهل النار؛ لكي لا يسميهم أهل النار، مع أنهم أوقدوا نارا؛ لأنه اسم قبيح، فقال يا أهل الضوء[20]. ومثل ذلك أنهم سموا من في رجله ميل الأحنف" قيل: سمّي بذلك على التّفاؤل، وقيل: بل استعير للميل المجرّد"[21]. ومنه في المثل– الذِّئْب يكنى أَبَا جعدة. يضْرب مثلا للرجل يظْهر إكرامك وَهُوَ يُرِيد غائلتك[22].

وَنَظِيرُ هَذَا: أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ سَأَلَ وَلَدَهُ– وَفِي يَدِهِ مِسْوَاكٌ– مَا جَمْعُ هَذَا؟ قَالَ: مَحَاسِنُك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَهَذَا مِنْ الْفِرَاسَةِ فِي تَحْسِينِ اللَّفْظِ. وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، اعْتَنَى بِهِ الْأَكَابِرُ وَالْعُلَمَاءُ. وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ وَهُوَ مِنْ خَاصِّيَّةِ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَةِ.

وثمَّ من رفض هذا الرأي، قال:" ولو كان على ما ذهب إليه في السليم لقيل لكل من به علة صعبة: سليم، مثل المبرسم والمجنون والمفلوج... بل كان يلزم أن يقال للميت سليم[23]. وهذا الرأي– أي رأي الزجاجي– ليس على إطلاقه، واللغة لا تقاس بالعقل، وليس بالضرورة أن تكون مطردة، ولكنها ظاهرة كانت، وما تزال، ومنه في أيامنا الحاضرة قولهم لمرض السرطان: المرض الخبيث، و(إللي ما يتسمى)، كما يسمي الأطباء الجلطة تخثر الدم، وهي تسمية ملطفة، وأقل حدة من الاسم الأول.

2– العدول من جملة أو كلمة إلى أخرى: وليس هذا من نقل الكلمة إلى ضدها، وإنما كلمة لها علاقة بالكلمة الأولى دون إيحائها السلبي، وقد تكون تركيبا، وفيها يحرص

المتكلم على أن لا يذكر الكلمة السيئة ملتبسة باسم المخاطب، لئلا يسوؤه ذلك، فقد ورد في الحديث الشريف: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ[24]... فقد قال بينما نحن جلوس **عند** رسول الله، ولم يقل **مع** رسول الله، وفي استخدام" عند" حسن أدب لما تشعر العندية بالتعظيم، بخلاف ما لو قال" مع"[25].

وورد: أَنَّ الرَّشِيدَ رَأَى فِي دَارِهِ حُزْمَةَ خَيْزُرَانٍ، فَقَالَ لِوَزِيرِهِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: عُرُوقُ الرِّمَاحِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَقُلْ الْخَيْزُرَانُ لِمُوَافَقَةِ اسْمِ أُمِّهِ[26].

ومنه ما ورد في السّجع، وهو أن يكون في النثر، لكنَّه قد يأتي داخل فِقَراتِ البيت من الشعر، فيزيدُه حُسْناً إذَا كان مستوفياً شروطه الفنيّة غير متكلّف. وتأدَّب بعض العلماء فخصّ ما هو ملاحظٌ في القرآن من سجع باسم" فواصل"[27].

ومما ورد في وضع جملة مكان أخرى، ولكنها تخلو من معنى الإساءة، أنه كَانَ لِبَعْضِ الْقُضَاةِ جَلِيسٌ أَعْمَى، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ يَقُولُ: يَا غُلَامُ، اذْهَبْ مَعَ أَبِي مُحَمَّدٍ، وَلَا يَقُولُ: خُذْ بِيَدِهِ، قَالَ: وَاَللَّهِ مَا أَخَلَّ بِهَا مَرَّةً[28].

3- الاشتقاق من الاسم: نحو قوله عليه السلام: غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، فقد اشتق عليه السلام من اسمهما اسمين على الفأل الحسن[29]. ومنه قول الرسول لحذيفة، وقد كان نائما: يا نومان[30]. والتلطف هنا يكون بذكر بعض ما التبس به من أحواله، فإذا نودي المنادى بوصف هيئته أو حليته أو ضجعته كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه وهيئته.... ومنه قوله لعلي: يا أبا تراب[31]، ولحذيفة: يا نومان. وقَوله لعبد الرحمان بْنِ صَخْرٍ الدوسي وَقد رآه حَامِلًا هِرَّةً صَغِيرَةً فِي كُمِّهِ« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»[32].

4- **التعميم وعدم التصريح:** ومن ذلك عدم التصريح باسم الشخص، وذلك نحو قوله عليه السلام: ما بال أقوام.. حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، وَلِأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُول؟ وَلَكِن يَقُول مَا بَال أَقوام يَقُولُونَ؟[33]، ولكن في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ[34].

قال ابن حجر: قَوْلُهُ:" مِثْلَ فُلَانٍ" لَمْ أَقِفْ عَلَى تَسْمِيَتِهِ فِي شَيْء من الطُّرُق، وَكَأَنَّ إِبْهَامَ مِثْلِ هَذَا لِقَصْدِ السُّتْرَةِ عَلَيْهِ كَالَّذِي تَقَدَّمَ قَرِيبًا فِي الَّذِي نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ

يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْصِدْ شَخْصًا مُعَيَّنًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَنْفِيرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مِنَ الصَّنِيعِ الْمَذْكُورِ[35].

ومنه في اخلاق العلماء أن العالم عندما يذكر آخر ناقدا له لا يذكر اسمه، وذلك نحو: ذكر بعض العلماء ذلك، ونرى أنه لم يصب الحقيقة[36]، وربما قالوا: وذهب بعضهم دون أن يصرح باسم صاحب القول.

5– **التسمية بما يبعد الشر:** وتقول العَرَبُ: نُفِّرَ فلانٌ إذا سُمِّيَ باسمٍ يَزْعُمُون أنّ الشّيطانَ يَنْفِرُ عنه، قال أعرابيٌّ: قيل لأبي لَمَّا وُلِدْتُ: نَفِّرْ عنه، فسَمَّانِي قُنْفُذاً، وكَنَّانِي أبا العَدَّاء[37].

ثانيا– التركيب:

1– استخدام الأمر:

أصل الأمر أن يكون من الأعلى إلى الأدنى، فالضابط يأمر الجندي، والأب يأمر الابن، والرئيس يأمر المرءوس، وهكذا، ولكنه إن قيل من الكبير للصغير يتغير المعنى، ويخرج عن الأمر، وذلك نحو: مرني، فهي ليست على سبيل الأمر، بل على سبيل التلطف والتأدب في الأمر. ومنه قوله:{ قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَماذا تَأْمُرُونَ}[38]. والقول لفرعون في مخاطبة الملأ[39]، طلبا للمشورة،" بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه"[40]، والغرض هو تطييب قلوبهم وإدخال السرور في صدورهم، وأن يظهر من نفسه كونه معظما لهم ومعتقدا فيهم"[41]، وقد يستخدم بعض المتكلمين في بعض البلدان العربية هذا الأسلوب، فيقول لصاحبه: مرني، وهو لا يقصد الأمر، بل التلطف في عرض المساعدة.

2– العدول عن الأمر إلى الاستفهام:

فبدلا من استخدام صيغة الأمر، والتي قد تبدو في نظر بعض المخاطبين فظة غليظة، فإن المتكلم يعرض عن هذا، ويستخدم صيغة الاستفهام، وذلك نحو قولك للأستاذ: أرني، فتأتي بالجملة على شكل آخر، وتقول له: هل تستطيع أن تريني؟ ومنه قول موسى عليه السلام:{ قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}[42]. قال أبو حيان: وهذا النص دليل على الحث في طلب الرحلة، وعلى حسن التلطف والاستزادة في طلب العلم[43]. وورد أن رجلا قال لعبد الله: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ... على سبيل التلطف[44].

وفي قوله تعالى:{ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[45] يقول ابن كثير: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ: نِدَاءُ إِقْبَالٍ وَتَشْرِيفٍ وَتَنْبِيهٍ بِالصِّفَةِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِمَّا يَقَعُ فِيهِ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ لِمَ تُحَرِّمُ: سُؤَالُ تَلَطُّفٍ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ قَبْلَهُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}[46]. وَمَعْنَى تُحَرِّمُ: تَمْنَعُ[47].

ومنه قول إبراهيم عليه السلام:{ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ}[48]: تَلَطُّفٌ فِي الْعِبَارَةِ وَعَرْضٌ حَسَنٌ[49]. وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ عَلَى سَامِعِهِ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ، بَلْ قَالَ:{ أَلا تَأْكُلُونَ} عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ وَالتَّلَطُّفِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَفَضَّلَ وَتُحْسِنَ وَتَتَصَدَّقَ، فَافْعَلْ"[50].

3- التخيير:

ورد في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ، أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ:« إِنَّهُ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ، إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ، وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ، سَبَّعْتُ لِنِسَائِي»[51]," وَهُوَ مَفْهُومُ قَوْلِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنْ شِئْتِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ أَنَّهُ لَا يَلْحَقُكِ مِنَّا هَوَانٌ، وَلَا نُضَيِّعُ مِمَّا تَسْتَحِقِّينَهُ شَيْئًا بَلْ تَأْخُذِينَهُ كَامِلًا ثُمَّ أَعْلَمَهَا أَنَّ إِلَيْهَا الِاخْتِيَارَ بَيْنَ ثَلَاثٍ بِلَا قَضَاءٍ، وَبَيْنَ سَبْعٍ، وَيَقْضِي نِسَاءَهُ، وَفِيهِ حُسْنُ مُلَاطَفَةِ الْأَهْلِ، وَإِبَانَةِ مَا يَجِبُ لَهُمْ، وَمَا لَا يَجِبُ، وَالتَّخْيِيرُ لَهُمْ فِيمَا هُوَ لَهُمْ"[52]." وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ مُلَاطَفَةِ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ وَغَيْرِهِمْ وَتَقْرِيبُ الْحَقِّ مِنْ فَهْمِ الْمُخَاطَبِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ[53].

ومنه قول السحرة لموسى عليه السلام:{ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى}[54]، حيث خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة، ولكن رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ"[55].

وقوله تعالى:{ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ} تلطف في الدعوة والمحاورة، والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسألة: أحدنا يخطىء، أي تثبت وتنبه، والمفهوم من كلامك أن مخالفك هو المخطئ، وكذلك هذا معناه لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فلينتبه، والمقصد أن الضلال في حيز المخاطبين وحذف أحد الخبرين لدلالة الباقي عليه، وقال أبو عبيدة" أَوْ" في الآية بمعنى واو النسق، والتقدير:{ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[56]، وهما خبران غير مبتدأين[57].

وقوله تعالى:{ وَإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ}[58]، هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَحْسَنِ مَا تَلَطَّفَ بِهِ فِي الْمُحَاوَرَةِ إِذْ بَرَزَ الْمُتَحَقِّقُ فِي صُورَةِ الْمَشْكُوكِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ آمَنَ بِهِ طَائِفَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الإيمان{ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ}[59]، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ بَارِعِ التَّقْسِيمِ إِذْ لَا يَخْلُو قَوْمُهُ مِنَ الْقِسْمَيْنِ[60].

2– **النداء:**

أ– بالاسم: وذلك مثل نداء الطفل: يا بُني، على سبيل التلطف، وفوق ذلك، فإن فيه تصغيرا.

ب– النداء باللقب المناسب: وذلك نحو: يوسف أيها الصديق أفتنا. قال الرازي:" وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَظِّمَهُ، وَأَنْ يُخَاطِبَهُ بِالْأَلْفَاظِ الْمُشْعِرَةِ بِالْإِجْلَالِ[61].

وورد في كتاب الرسول عليه السلام إلى هرقل:" مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ.."[62]. وَلَمْ يَقُلْ إِلَى هِرَقْلَ فَقَطْ بَلْ أَتَى بِنَوْعٍ مِنَ الْمُلَاطَفَةِ فَقَالَ عَظِيمِ الرُّومِ أَيِ الَّذِي يُعَظِّمُونَهُ وَيُقَدِّمُونَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِإِلَانَةِ الْقَوْلِ لِمَنْ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ تَعَالَى:{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[63]. وقال تعالى:{ فقولا له قولا لينا}[64] وَغَيْرَ ذَلِكَ وَمِنْهَا[65].

ج– ونحو قول الطالب لمدرسه: يا أستاذي، وإن كانت تسير على طريقة النداء، إلا أنه يمكن للطالب أن ينادي أستاذه باسمه المجرد، وهذا مرفوض في البيئة العربية التي لا تتعامل بالاسم الأول للشخص، وخاصة الكبير، بل إنه يعد تحقيرا له يُنادى به، وهذا مع المرأة أبين وأظهر.

د– استخدام بعض ألفاظ القرابة، نحو: كلمة عم وأخ، فالناس يدعون لداتهم بالأخ والأخت، قال الشاعر[66]:

أنت أختي وأنت حرمة جاري وحرام عليّ خون الجوار

ويدعون من هو أكبر باسم العم كثيرا، قال النمر بن تولب:

دعاني الغواني عمهن وخلتني لي اسم فلا أدعى به وهو أول

يريد: أنهن كنّ يدعونني: يا أخي[67]. وربما أن الغواني قد لاحظن أنه كبر فصرن يدعونه بالاسم الجديد، دون القديم؛ لوجود فارق السن. والاسم الجديد فيه نوع من الاحترام بسبب

الفارق في السن، وأنه من فئة عمرية لا يقال لها إلا هذه الكلمة، بينما كلمة" أخ" أصبحت لا تناسب الحال بسبب ما تحويه من إشارة إلى تقارب السن، الذي هو مدعاة لإنشاء علاقة كالزواج، مثلا.

وقوله تعالى:{ وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً}[68]: وَرَبُّ: مُنَادَى مُضَافٌ إِلَى الْيَاءِ،... وَنَادَاهُ بِلَفْظِ الرَّبِّ مُضَافاً إِلَيْهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَلَطُّفِ السُّؤَالِ وَالنِّدَاءِ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ عَلَى قَبُولِ السَّائِلِ وَإِجَابَةِ ضَرَاعَتِهِ[69].

وقوله تعالى:{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً}[70].

" قلت:(ذُرِّيَّةَ): منادى، أي: يا ذرية من حملنا مع نوح، والمراد: بني إسرائيل. وفي ندائهم بذلك: تلطف وتذكير بالنعم، وقيل: مفعول أول بتتخذوا، أي: لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً[71].

وقوله تعالى:{ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}[72].

وَابْتِدَاءُ خِطَابِ آدَمَ بِنِدَائِهِ مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ بَعِيدٍ عَنْ سَمَاعِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ آدَمَ وَإِظْهَارِ اسْمِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى حَتَّى يَنَال بذلك حُسْنَ السُّمْعَةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّكْرِيمِ عِنْدَ الْآمِرِ لِأَنَّ شَأْنَ الْآمِرِ وَالْمُخَاطِبِ- بِالْكَسْرِ- إِذَا تَلَطَّفَ مَعَ الْمُخَاطَبِ- بِالْفَتْحِ- أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ وَلَا يَقْتَصِرَ عَلَى ضَمِيرِ الْخِطَابِ حَتَّى لَا يُسَاوِيَ بِخِطَابِهِ كُلَّ خِطَابٍ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ ذِكْرِ سُجُودِ النَّبِيءِ وَحَمْدِهِ اللَّهَ بِمَحَامِدَ يُلْهِمُهُ إِيَّاهَا، فَيَقُولُ:« يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[73].

ومنه قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ}[74]. افْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِالنِّدَاءِ إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ وَاحِدًا وَلَمْ يَكُنْ بَعِيدًا يَدُلُّ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِمَا سَيُلْقَى إِلَى الْمُخَاطَبِ مِنْ كَلَامٍ.

وَالْأَصْلُ فِي النِّدَاءِ أَنْ يَكُونَ بِاسْمِ الْمُنَادَى الْعَلَمِ إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ، فَلَا يُعْدَلُ مِنَ الِاسْمِ الْعَلَمِ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ وَصْفٍ أَوْ إِضَافَةٍ إِلَّا لِغَرَضٍ يَقْصِدُهُ الْبُلَغَاءُ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَكْرِيمٍ نَحْوَ:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}[75]، أَوْ تَلَطُّفٍ وَتَقَرُّبٍ نَحْوَ: يَا بُنَيَّ وَيَا أَبَتِ، أَوْ قَصْدِ تَهَكُّمٍ نَحْوَ:{ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}[76]، فَإِذَا نُودِيَ الْمُنَادَى بِوَصْفِ هَيْئَتِهِ مِنْ لِبْسَةٍ أَوْ جِلْسَةٍ أَوْ ضِجْعَةٍ كَانَ الْمَقْصُودُ فِي الْغَالِبِ التَّلَطُّفَ بِهِ وَالتَّحَبُّبَ إِلَيْهِ وَلِهَيْئَتِهِ، وَمِنْهُ: قَوْلُ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ وَجَدَهُ مُضْطَجِعًا

فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ عَلَقَ تُرَابُ الْمَسْجِدِ بِجَنْبِهِ« قُمْ أَبَا تُرَابٍ». وَقَوْلُهُ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ« قُمْ يَا نَوْمَانُ». وَقَوله لعبد الرحمان بْنِ صَخْرٍ الدوسي وَقد رءاه حَامِلًا هِرَّةً صَغِيرَةً فِي كُمِّهِ« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ». فَنِدَاءُ النَّبِيءِ بِـــ{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} نِدَاءُ تَلَطُّفٍ وَارْتِفَاقٍ"[77].

3- استخدام الضمير:

قال أبو إسحق: إذا قال سيبويه بعد قول الخليل: وقال غيره، إنما يعني نفسه، ولا يسمي نفسه بعد الخليل، إجلالا منه له[78]. ومنه مَا روى عَن ابن الجوزي أَنه وَقع نزاع بَين أهل السّنة والشيعة بِبَغْدَاد فِي المفاضلة بَين أبي بكر وَعلي رَضِي الله عَنْهُمَا وَرَضي المتنازعون بِمَا يُجيب بِهِ أَبُو الْفرج فأقاموا شخصا سَأَلَهُ عَن ذَلِك، وَهُوَ فِي مجْلِس الْوَعْظ على كرسيه. فَقَالَ: أفضلهما من كَانَت ابْنَته تَحْتَهُ. وَنزل فِي الْحَال حَتَّى لَا يُرَاجع فِي ذَلِك. فَقَالَ أهل السّنة: هُوَ أَبُو بكر لِأَن ابْنَته عَائِشَة تَحت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَت الشِّيعَة: هُوَ عَليّ بن أبي طَالب لِأَن فَاطِمَة بنت رَسُول الله عَلَيْهِ وَسلم تَحْتَهُ. وَلَيْسَ بعد هَذَا الْجَواب غَايَة، فِي التلطف وَحُضُور البديهة ورقة الخلوص من الْحَرج، وَلَو عمد إِلَيْهِ امْرُؤ بعد الروية والفكر الطَّوِيل، وإمعان النّظر لما حصل مثله"[79]. وفي هذا شيء من الغموض في صاحب الضمير، وبراعة في التلطف به أرضى الطرفين، وتخلص من المأزق.

وَفِي خَبَرِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ مِنْ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَرَادَ أَنْ يُضِيفَهُ وَقَالَ لَهُ:« أَمَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ». يُرِيدُ: أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلِي الَّذِي هُوَ كَمَنْزِلِهِ. وَهَذَا تَلَطُّفٌ فِي عَرْضِ الِاسْتِضَافَةِ، إِلَّا أَنَّ فِعْلَ يَأْنِ مُشْتَقٌّ مِنَ الْإِنَى وَهُوَ فِعْلٌ مَنْقُوصٌ آخِرَهُ أَلِف[80].

4- الإسناد، أو نسبة الشيء إلى غير صاحبه الأصلي:

قول إبراهيم عليه السلام:{ وإذا مرضت فهو يشفين}[81]، فقد أسند الشفاء إلى الله، وأسند المرض إلى نفسه، وحقيقته أن كل شيء من الله، ولكنه أسنده تأدبا مع الله، ومثله قول الجن:{ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً}[82]، فقد أسندوا الرشد إلى الله، مستخدمين الفعل المبني للمعلوم، ولم يسندوا الشر إليه، واستخدموا الفعل المبني للمجهول. وكذلك الأمر في الآية الكريمة قول الخضر:{ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}[83]"

أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْعَيْبَ أَضَافَهُ إِلَى إِرَادَةِ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، وَلَمَّا ذَكَرَ الْقَتْلَ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ، فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى هَذَا الْقَتْلِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَالِيَةٍ، وَلَمَّا ذَكَرَ رِعَايَةَ مَصَالِحِ الْيَتِيمَيْنِ لِأَجْلِ صَلَاحِ أَبِيهِمَا أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْمُتَكَفِّلَ بِمَصَالِحِ الْأَبْنَاءِ لِرِعَايَةِ حَقِّ الْآبَاءِ لَيْسَ إلا الله سبحانه وتعالى"[84].

ومنه في سورة الكهف:-{ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}[85]. جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى الطبيعة البشرية، كالجوع والعطش والتعب والنسيان فقد قال موسى لفتاه: آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً ورد عليه فتاه بقوله: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ... وفي هذا الرد- أيضا- من الأدب ما فيه، فقد نسب سبب النسيان إلى الشيطان، وإن كان الكل بقضاء الله- تعالى- وقدره[86].

" وهذا من أدب المسلم فضلاً عن أدب النبوة، أن ينسب الخير لله والشر لغيره، على أن الله جل جلاله خالق الخير وخالق الشر، وقد قدر الكل في الأزل"[87].

ومنه:{ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ}[88].

قال الرازي:" وَقَالَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ، وَالصِّدِّيقُ، هُوَ الْبَالِغُ فِي الصِّدْقِ وَصَفَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يُجَرِّبْ عَلَيْهِ كَذِبًا وَقِيلَ: لِأَنَّهُ صَدَقَ فِي تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَظِّمَهُ، وَأَنْ يُخَاطِبَهُ بِالْأَلْفَاظِ الْمُشْعِرَةِ بِالْإِجْلَالِ"[89].

وجاء في الحديث الشريف:" وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ"[90]. قال ابن الأثير: وَهَذَا الْكَلَامُ إرشادٌ إِلَى استِعْمَالِ الأدَب فِي الثَّناءِ عَلَى اللهِ، وَأَنْ تُضافَ إِلَيْهِ محاسنُ الْأَشْيَاءِ دُون مَساوِيها، وَلَيْسَ المقصودُ نَفْيَ شَيْءٍ عَنْ قُدْرته وَإِثْبَاتِهِ لَهَا، فَإِنَّ هَذَا فِي الدُّعَاءِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ. يُقَالُ يَا رَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُقَالُ يَا رَبَّ الْكِلَابِ والخَنَازِير، وَإِنْ كَانَ هُوَ ربَّها[91].

6- التقديم والتأخير: وهو هنا مقصود، ويحدث مثل هذا عندما تكلف زملاء لك في العمل، أو أصدقاء في مهمة، ففي الأمر المستثقل تقدم نفسك على المخاطبين، فيسهل تقبل ما تلقيه إليهم؛ لأنك بدأت بنفسك، وفي الأمر الهيّن تقدم المخاطبين على نفسك؛ لأن النفس تميل إلى الأمر السهل، وهم رأوا أنك قد آثرتهم على نفسك، ومنه في الحديث الشريف: " إن أبي وأباك...." وقصد بذلك تطييب خاطر ذلك الرجل خشية أن يرتد إن قرع اسمه أن أباه في النار"[92].

وفي سورة الكهف عندما أرادوا أن يطلبوا من ذي القرنين أن يقدم لهم عملا، فقد عرضوا عليه أن يعطوه أجرا، أولا، ثم يقوم بعمل معين، فقدموا العرض على العمل تأدبا.{ قالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}[93].

ومن التقديم:

– أن على المتعلم أن يخفض جناحه للمعلم، وأن يخاطبه بأرق العبارات وألطفها، حتى يحصل على ما عنده من علم بسرور وارتياح.

قال بعض العلماء ما ملخصه: وتأمل ما حكاه الله عن موسى في قوله للخضر:{ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً}[94]، فقد أخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، فكأنه يقول له: هل تأذن لي في ذلك أولا، مع إقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو...[95]

وَعَقَّبَ هَذَا الْمَلَامَ بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ تَسْكِينًا لِخَوَاطِرِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ تَلَطُّفٌ مَعَهُمْ عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي تَقْرِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ تَقْدِيمُ الْعَفْوِ عَلَى الْمَلَامِ فِي مَلَامِ الرَّسُولِ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ}[96]، فَتِلْكَ رُتْبَةٌ أَشْرَفُ مِنْ رُتْبَةِ تَعْقِيبِ الْمَلَامِ بِذِكْرِ الْعَفْوِ[97].

وفي الحديث عَنْ أَبِي بَكَرَةَ، أَنَّهُ جَاءَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاكِعٌ، فَرَكَعَ دُونَ الصَّفِّ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّفِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ هَذَا الَّذِي رَكَعَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّفِّ؟"، فَقَالَ أَبُو بَكَرَةَ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" زَادَكَ اللهُ حِرْصًا، وَلَا تَعُدْ"[98]. وإضافة لما سبق، فإن الدعاء نفسه فيه تلطف، وإظهار محبة للمخاطب، وتسويغ يجعل الآخر يتقبل ما يقوله المتكلم.

ومن كلام أبي جعفر المنصور:" ثلاث كنّ في صدري شفى الله منهم: كتاب أبي مسلم إليّ وأنا خليفة: عافانا اللّه وإياك من السوء"[99]. والشاهد في كلام المنصور أن أبا مسلم حينما دعا لم يبدأ باسم المنصور على اعتبار أنه الخليفة، تواضعا، ولكنه بدأ بنفسه؛ مما أشعر الخليفة بترفع أبي مسلم عليه، وأغضبه.

ثالثا- البلاغة:

1- **الكناية:** تعرف الكناية بأنها لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، ولا يقصد باللفظ اللفظة المفردة أو الكلمة الواحدة، بل التعبير، وذلك مثل: كثير الرماد، طويل العماد... بمعنى الكرم والشجاعة. وإذا كان لنا أن نفترض أن الكناية يمكن أن تعطي المعاني كافة، الإيجابية والسلبية، فإن ثمّ مندوحة يمكن تستعمل بها الكناية في تحاشي المحظور اللغوي والمعاني المكروهة، كالتعبير عن الجنس مثلا: قوله تعالى:{ أُحِلَّ لكم ليلةَ الصّيامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكم}[100]، وقولهِ عز وجل:{ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا}[101]

وهذا الجزء واسع من اللغة والقدرة، ويمكن أن يدخل فيما يسمى بالتلطف في التعبير.

ومن هذا الباب(التعريض). والعرب تستعمله في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون: لا يحسن التّعريض إلّا ثلبا[102].

والتعريض في الخطبة: أن يقول الرجل للمرأة: والله إنك لجميلة، ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحا، وإن النساء لمن حاجتي، هذا وأشباهه من الكلام[103]. ومن بلاغة الكناية والتعريض أيضًا: التعبير عن المعاني غير المستحسنة بألفاظ ترتضيها الأذواق وتستسيغها الآذان، وشواهد هذا كثيرة من القرآن الكريم، وذلك كقوله تعالى كناية عن الجماع:{ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}[104]،{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}[105] في الكناية عن الفرج:{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}[106]، وفي الكناية عن النكاح:{ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}[107]، وفي الكناية عن قضاء الحاجة:{ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}[108]، { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}[109].

2- **الالتفات:** لغة هو" تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضْعٍ آخر. وفي اصطلاح البلاغيين هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق

الكلام الثلاث:" التكلّم– والخطاب– والغيبة"[110]. وبتعبير آخر الانتقال في استخدام الضمائر بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب.

ومنه خطاب الله رسوله بقوله:{ عَبَسَ وتولى* أَن جَآءَهُ الأعمى}[111]. وكان مقتضى الظاهر أن يقول لرسولهِ:" عَبَسْتَ وتولَّيْتَ أن جَاءَكَ الأعمى"[112]. إذِ الْتَفَتَ عنه ابتداءً، فتحدَّثَ عنْهُ بأسْلُوبِ الحديثِ عن الغائب، مع أنّ مُقْتَضَى الظاهر بحسب منزلته أنْ يُكلِّمَهُ بأسلوب الخطاب، لكِنْ لم يُطِلِ الالتفاتَ عنه بل أسْرَعَ إلى الالتفات إليه، فخاطبه بقوله معاتباً:{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى}[113]. وفي هذا تلطف في الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فأنت" عندما تقرؤها تظن أن العابس والمتولي غير الرسول، تظن أنه رجل آخر، ولكن المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم[114]. ونظير هذا أنك تذكر شخصا متصفا بأوصاف جليلة، مخبرا عنه أخبار الغائب، يكون ذلك الشخص حاضرا معك، فتقول له: إياك أقصد، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ" إياه"[115].

3– الإعراض عن الجواب:

جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ قُرَيْشًا دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا فَيَكُونُ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُونَهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ وَيَطَأُونَ عَقِبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، وَلَا تَذْكُرْهَا بِشَرٍّ؛ فَإِنْ بَغَضْتَ فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، وَلَكَ فِيهَا صَلَاحٌ قَالَ:« وَمَا هِيَ؟» قَالَ: تَعْبُدُ إِلَهَنَا سَنَةً اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً قَالَ:« حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ رَبِّي»، فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: قُلْ يَا أَيُّهَا{ الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }[116] ... السُّورَةَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونُ}[117]،{ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[118]. يقول ابن تيمية: وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ"{ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ رَبِّي}" قَدْ يَقُولُ هَذَا مَنْ يَقْصِدُ بِهِ دَفْعَ الظَّالِمِينَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِيَجْعَلَ حُجَّتَهُ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ طَاعَتُهُ قَدْ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَيُؤَخِّرُ الْجَوَابَ حَتَّى يَسْتَأْمِرَهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالُوهُ لَا سَبِيلَ إلَيْهِ. وَقَدْ تُخْطَبُ إلَى الرَّجُلِ ابْنَتُهُ فَيَقُولُ: حَتَّى أُشَاوِرَ أُمَّهَا، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لَا يُزَوِّجَهَا بِذَلِكَ وَيَعْلَمُ أَنَّ أُمَّهَا لَا تُشِيرُ لَهُ. وَكَذَلِكَ قَدْ يَقُولُ النَّائِبُ: حَتَّى أُشَاوِرَ السُّلْطَانَ[119]، فالإعراض عن الجواب نوع من التلطف وأدب من آداب الدعوة الحوار[120].

4- **المجاز:** يرى ابن جني أن الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وبعبارة أخرى الحقيقة هو أن تستعمل الكلمة الأصلية كما وضعها الواضع الأول، والمجاز أن تستعمل الكلمة في غير الدلالة الأولى التي وضعها الواضع الأول. وذلك كما: قامت تظللني ومن عجب شمس أحب إلي من الشمس[121]

فالشمس الثانية استعملت على الحقيقة، وهي النجم المعروف، وأما الشمس الأولى فليس حقيقية، وذلك بدليل" تظللني" فالشمس الحقيقية تزيل الظل، وهذه تصنع الظل، وهذا يدل على أنها استخدمت استخداما جديدا، وصارت تدل على معنى آخر غير المعنى الأول. فهذا الانتقال من استخدام الكلمة بمعناها الحقيقي إلى استخدامها بالمعنى الجديد هو ما يقصد به النقل المجازي[122].

والمهم هنا في هذا الأمر هو استخدام المجاز في التعبير، وهو إمكانية قائمة في النفس البشرية، فقد ورد أنه" سُئِلَ الْعَبَّاسُ: أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فَقَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا وُلِدْت قَبْلَهُ. وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَبَاثُ بْنُ أَشْيَمَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ"[123]. على أن في هذا صرفا للكلمة عن معناها الأول، وهو الكبر الحقيقي، إلى معنى مجازي، وهو المكانة الاجتماعية والدينية في المجتمع.

ومنه في المثل: أَتْيَهُ من أَحمَق ثَقِيف: وَهُوَ من التيه الَّذِي هُوَ الْكبر يعنون يُوسُف بن عمر، وَكَانَ أَمِير الْعرَاق من قبل هِشَام، وَكَانَ أَحمَق من أَمر وَنهى فِي الْإِسْلَام، وَكَانَ قَصِيرا دميماً، وَكَانَ خياطه إِذا أفضل من الثَّوْب الَّذِي يقطعهُ لَهُ شَيْئا ضربه مائَة سَوط، وَإِذا ذكر أَنه يحْتَاج إِلَى شَيْء أجَازه وأكرمه، وَكَانَ لَهُ نديم يُقَال لَهُ عَبْدَان، وَكَانَ من أطول النَّاس قامة، وَكَانَ يُوسُف مثل عقدَة رشاء، فماشاه يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ يُوسُف: أَيّنَا أطولُ؟ قَالَ: فَوَقَعت فِي محنة تحتهَا السَّيْف، فَقلت: أصلح الله الْأَمِير، أَنْت أطول مني ظهرا، وَأَنا أطول مِنْك ساقاً، قَالَ: فَضَحِك، وَقَالَ: أَحْسَنت[124].

5- **الخطاب المنصف:**

قال تعالى:{ قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[125]، فحصل المقصود في قالب التلطف، وكان حق الحال من حيث الظاهر لولاه أن يقال: لا تسألون عما عملنا، ولا نسأل عما أجرمتم، ومثله قوله{ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ

مُبِينٍ}[126]. حيث رد الضلال بينهم وبين أنفسهم. والمراد: إنا على هدى وأنتم في ضلال. قال السكاكي: ويسمى هذا النوع: الخطاب المنصف[127].

خاتمة البحث

عرض البحث إلى ظاهرة التلطف في اللغة، معرفا لها، ومبينا لأسباب حدوثها، وقد بين أن التلطف إمكانية وقدرة قائمة عند كل إنسان، وبإمكان كل إنسان أن يستخدم التلطف أو الفظاظة في تعبيره وكلامه. وقد كانت معظم الأمثلة مستقاة من القرآن الكريم، ثم الحديث الشريف، ثم كلام العرب.

وبين البحث أن مصطلح التلطف لا يقتصر على استخدام كلمة مكان كلمة حادة، وإنما هو استخدام أوسع من ذلك، وقد عرضت أمثلة تتخالف مع هذا الفهم، وتتوسع في دلالته.

وقد عرض البحث من صور وطرق التلطف صورا كثيرة: على مستوى الكلمة وضع كلمة ملطفة مكان أخرى جافية، والتسمية بالنقيض، والتصغير، والتعميم. وعلى مستوى التركيب كما في النداء، والتقديم والتأخير، واستخدام الأمر، والعدول عن الأمر إلى الاستفهام، واستخدام الضمير الغائب، والتخيير.. وعلى المستوى البلاغي كما في الكناية، والتورية، والخطاب المنصف، والالتفات، والإعراض عن الجواب.

الحواشي

1– الكلام المحظور وهي ترجمة للكلمة Taboo، التي تعني ما لا يجوز الخوض فيه من الموضوعات كالجنس أو ما يخيف.

2– أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م، ص 177.

3– أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب– القاهرة، ص 240.

4– نقلا عن: محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي، ظاهرة التَّلَطف في الأساليب العربية، دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية، الشبكة العنكبوتية، شبكة الفصيح، http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=6274

5– ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الطرق الحكمية، مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، ص 41.

6- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة 1417هـ- 1997م، ص 121.

7- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 31، جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ص 14.

8- محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي، ظاهرة التَّلَطف في الأساليب العربية، دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية، الشبكة العنكبوتية، شبكة الفصيح، http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=6274

9- ورد أن عنترة" سابه رجل فعيره بسواده وسواد أمه وأنه لا يقول الشعر فقال عنترة والله إن الناس ليترافدون الطعمة فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك في خيل مغيرة في أوائل الناس قط". الشيباني، أبو عمرو(ت 206هـ)، شرح المعلقات التسع، وهو منسوب إليه، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ- 2001م، ص 214.

10- الأزهري، محمد بن أحمد(المتوفى: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 3/ 109، والشطر- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة- 1414هـ- عور دون نسبة.

11- ينظر: ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ- 1996م، ابن منظور، لسان العرب 13/ 509- مادة شوه.

12- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت، ثلاثة كتب في الأضداد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، المطبعة الكاثوليكية، للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص 137.

13- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(المتوفى: 421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، الطبعة: الثانية، 2000م، 4/ 387

14- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ- 1979م، 4/ 459)

15- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(المتوفى: 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ص 9.

16- سورة البقرة 19.

17- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ- 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،(ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان- وبنفس ترقيم الصفحات)، 2/ 306

18- البخاري، صحيح البخاري 7/ 137- 138، حديث رقم 5766، القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك،(ت 923هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323هـ، 5/ 291.

وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى 5/ 75.

19- ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك(المتوفى: 449هـ)، شرح صحيح البخارى، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ- 2003م، 4/ 534.

20- ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص 40.

21- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة الأولى- 1412هـ، ص 260.

22- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر- بيروت، 1/ 459.

23- الزجاجي، الأمالي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل- بيروت، الطبعة: الثانية، 1407هـ- 1987م، ص 221.

24- تكلمة الحديث: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ:« مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ:« فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ:« فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ- وَالعَرَقُ المِكْتَلُ- قَالَ:« أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ:« خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا- يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ:« أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422ه، 3/ 32، والحديث برقم 1936.

25- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة- بيروت، 1379ه، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز 4/ 164.

26- ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص 40.

27- حبنكة، البلاغة العربية: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ- 1996م، 2/ 504.

28- ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص 40.

29- ابن بطال، شرح صحيح البخارى 3/ 7.

30- مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 3/ 1414 والحديث برقم 99.

31– البخاري، صحيح البخاري، 5/ 18، والحديث برقم 3703.
32– ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير 29/ 256.
33– ابن حجر، فتح الباري 6/ 575.
34– البخاري، صحيح البخاري 2/ 54، ورقم الحديث 1152.
35– ابن حجر، فتح الباري 3/ 37– 38 ورقم الحديث 717.
36– منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، صدرت في 13 عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، كما يلي: العدد 1: مجلد واحد. العدد 2: مجلدان. العدد 5 و7 و9 و12: كل منها 4 مجلدات. بقية الأعداد: كل منها 3 مجلدات، العدد 10/ 584.
37– الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص 817– 818.
38– سورة الشعراء 35.
39– القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح(ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ– 1964م، 7/ 257.
40– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد(المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– 1418هـ، 4/ 137.
41– مفاتيح الغيب 7/ 206.
42– سورة الكهف 66.
43– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، الطبعة: 1420هـ، 7/ 474.
44– المصدر السابق 4/ 342.
45– سورة التحريم 1.
46– سورة التوبة 43.
47– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 10/ 207.
48– سورة الذاريات 27.

49- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ- 1999م، 7/ 421 .

50- المصدر السابق.

51- مسلم، صحيح مسلم حديث رقم 1460.

52- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد(المتوفى: 1182هـ)، سبل السلام، دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ 2/ 240.

53- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: 676هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ، 10/ 44.

54- سورة طه 65.

55- بيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 471.

56- سورة سبأ 24.

57- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى- 1422هـ.

58- سورة الأعراف 87.

59- سورة الأعراف 88.

60- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 5/ 109.

61- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين(ت 606هـ)، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة- 1420هـ، 18/ 46518/ 465.

62- البخاري، صحيح البخاري 1/ 8، والحديث برقم 7.

63- سورة النحل 125.

64- سورة طه 44.

65- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم 12/ 108.

66- لم نعثر على اسم صاحب البيت: أنت أختي...

67– ابن عاشور، التحرير والتنوير 21/ 265، وبيت النمر بن تولب في ديوانه، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، 2000هـ، ص 101.

68– سورة البقرة 126.

69– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 1/ 612.

70– سورة الإسراء 3.

71– ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي(المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، لدكتور حسن عباس زكي– القاهرة، الطبعة: 1419هـ، 3/ 182.

72– سورة البقرة 33.

73– ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير 1/ 417، الحديث في: البخاري، صحيح البخاري، 6/ 17، والحديث برقم 4476.

74– سورة المزمل 1– 3.

75– سورة الْأَنْفَال 65.

76– سورة الْحجر 6.

77– ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير 29/ 255– 256، والحديث سبق تخريجه.

78– النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ، 1/ 153.

79– ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد(المتوفى: 597هـ)، الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ 1، 2: 1386هـ– 1966م، جـ 3: 1388هـ– 1968م، 1/ 21– 22.

80– ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير 27/ 390.

81– سورة الشعراء 80.

82– سورة الجن 10.

83– سورة الكهف 79.

84– الرازي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، 21/ 493.

85- سورة الكهف 63.

86- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: أجزاء 1- 3: يناير 1997م، جزء 4: يوليو 1997م، جزء 5: يونيو 1997م، أجزاء 6- 7: يناير 1998م، أجزاء 8- 14: فبراير 1998م، جزء 15: مارس 1998م، 8/ 546.

87- محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني(المتوفى: 1419هـ)، تفسير القرآن الكريم، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس- 357 درسا] 13/ 3.

88- سورة يوسف 46.

89- الرازي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، 18/ 465.

90- مسلم، صحيح مسلم 1/ 534، والحديث برقم 201.

91- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ- 1979م. 2/ 458.

92- الهروي القاري، علي بن(سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين(المتوفى: 1014هـ)، أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية- السعودية، الطبعة: الأولى، 1413هـ- 1993هـ، 1/ 119.

93- سورة الكهف 94.

94- سورة الكهف 66.

95- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 8/ 546.

96- سورة التَّوْبَة 43.

97- ابن عاشور، التحرير والتنوير 4/ 130.

98- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2001م- 34/ 9 والحديث برقم 20457.

99– ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم(المتوفى: 276هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية– بيروت، تاريخ النشر: 1418هـ، 1/ 81.

100– سورة البقرة 187.

101– سورة الأعراف 189.

102– ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(المتوفى: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ص 163– 164.

103– ابن، قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص 164.

104– سورة النساء 43.

105– سورة لبقرة 187.

106– سورة البقرة 23.

107– سورة البقرة 235.

108– سورة النساء 43.

109– سورة المائدة 75، وانظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب 3/ 153.

110– حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي(المتوفى: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ– 1996م، 1/ 480.

111– سورة عبس 1– 2.

112– حبنكة، البلاغة العربية 1/ 480.

113– عبس: 3، حبنكة، البلاغة العربية 1/ 482.

114– ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد(ت 1421هـ)، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 2/ 139.

115– أبو حيان، البحر المحيط 1/ 14.

116– سورة الكافرون 1– 2.

117– سورة الزمر 64.

118– سورة الزمر 66، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم(ت 360هـ)، الروض الداني(المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود

الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار- بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، 1405-1985، 2/ 44، والحديث برقم 751.

119- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم(ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/ 1995م، 16/ 544.

120- منقذ بن محمود السقار، الحوار مع أتباع الأديان- مشروعيته وآدابه، رابطة العالم الإسلامي 1/ 51.

121- البيتان لِابْنِ العميد وهما من الْكَامِل قالهما فِي غُلَام حسن قَامَ على رَأسه يظلله من الشَّمْس. وَقَالَ ابْن النجار فِي تَارِيخه: قَرَأت على إِسْمَاعِيل بن سعد الله أَنبأَنَا بكر بن عَليّ التَّاجِر قَالَ أنشدنا رزق الله بن عبد الْوَهَّاب التَّمِيمِي الْوَاعِظ فِي وَلَده أبي الْعَبَّاس لِأَنَّهُ كَانَ يقوم إِذا جَاءَت عَلَيْهِ الشَّمْس ويظله، ونسب لأبي إِسْحَاق الصابي، انظر: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي(المتوفى: 963هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب- بيروت، 2/ 113.

122- عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي، داود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي، طبعة أولى 1409هـ ، 1989م، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص 92.

123- ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، ص 40.

124- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، جمهرة الأمثال، دار الفكر- بيروت 1/ 285.

125- سورة سبأ 25.

126- سورة سبأ 24.

127- الزركشي، البرهان 2/ 213، السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ- 1987م، ص 246، وفيه ورد استخدامه: كلمة المنصف دون الخطاب.